ULUM HADITH
RESEARCH CENTER

Journal of Hadith Studies
Vol. 2 (June 2017) e-ISSN: 2550-1448

طرق تلقي الحديث عند الصحابة في حياته صلى الله عليه وسلم

(Methods of Sahaba in Receiving the Hadith from Prophet Muhammad)

Shumsudin Yabi[1], Aminudin Basir @Ahmad[2], Akila Mamat[3], Muhammad Yofef Niteh[4]

[1]Fakulti Pengajian Quran Sunnah, Universiti Sains Islam Malaysia, Bandar Baru Nilai, Negeri Sembilan.
[2] Pusat Citra Universiti, Universiti Kebangsaan Malaysia, B.B Bangi, Selangor
[3]Fakulti Pengajian Kontemporari Islam, Universiti Sultan Zainal Abidin, Kuala Terengganu, Terengganu
[4] Pusat Pengajian Teras, Kolej Universiti Islam Antarabangsa Selangor, Bangi, Selangor

Article Progress

Received: 24 February 2017
Revised : 12 May 2017
Accepted: 14 June 2017

*Shumsudin Yabi, Senior Lecturer, Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia, Bandar Baru Nilai, Negeri Sembilan, Malaysia.
Email: shumsudin@usim.edu.my

Abstract
The companions realized the status and value of hadith of the Prophet Muhammad. They took in the peremptory texts and conveyed it. The Companions were truly loved and closed to the Prophet PBUH, they listen to His hadith, applied it in their lives, and conveyed it to the people after. The beholders of books of knowledge know clearly that the Companions worked hard to spread, conveyed and applied the Sunnah in the hadith from The Prophet PBUH to the next generations. Throughout the research from the related books and references established, the researcher founds that there are several methods and efforts by The Companions to receive the hadith from The Prophet PBUH. As an example The Companions diligently attend to The Prophet's PBUH lectures to receive the hadith. There were various possibility methods such as, listened directly from the Prophet PBUH, or pointed out to them, or as a writer of the hadith, or travelled with Him. As the results from their hard works and efforts, the hadith was protected by kept it in their minds and written it in books. They understand the hadith with their mind and spread it among the people. They were also applied the hadith in every single things in their lives. The researcher will describe about these methods followed by The Companions, and The Companions' efforts in keeping the purity of hadith from The Prophet Muhammad

Keywords: Receive Hadith, The Companions, during lives of The Prophet

الملخص

أدرك الصحابةُ الكرام رضوان الله عليهم مكانةَ السُّنة النبوية المطهَّرة، وعرَفوا قدرها، واستوعبوا النصوص الآمرةَ بتبليغ العلم، وأحَبُّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا شديدًا، فازدادوا قربًا من النبي صلى الله عليه وسلم واستماعًا لأحاديثه، وتطبيقًا لها، ونقلوها إلى مَن بعدهم على أحسن ما يكون النقل، والناظر في كُتُبِ العِلم يدرك بوضوح أن للصحابة رضوان الله عليهم جهودًا ضخمة جبَّارة في خدمة الحديث النبوي، استطاعوا عن طريقها أن يحفظوا سُنَّةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن ينقُلُوها إلى الأجيال التالية غضَّةً طرية، ولقد بحثت وطالعت الكتب والمراجع المتعلقة بهذا الشأن؛ واستخلصت منها طرق تحمل الصحابة رضوان الله عليهم الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في حياته؛ وتنوع تلك الطرق؛ من حرص على حضور مجالس النبي صلى الله عليه وسلم، وتلقِّي الحديث عنه بكل الطرق الممكنة؛ من سماع مباشر وملازمة، أو عرض عليه، أو مكاتبة أو سفر وغيرها، ولقد أثمرت هذه الجهودُ في حفظَ السنة في الصدور ثم في السطور، وفَهمها بالعقول، ونشرها وإذاعتها بين الناس، وتطبيقَها في كل مجالات الحياة؛ وسأذكر في هذا البحث أبرز هذه الطرق والجهود، والتي يتبيَّن من خلالها الجُهدُ الذي بذلوه من أجل خدمة السنة، والطَّريقة التي اتبعوها من أجل صيانتها والحفاظ عليها.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله. وبعد :

لقد بعث الله نبينا محمدًا بن عبدالله ﷺ، خاتمًا للأنبياء، والمرسلين، وأنزل معه الكتاب، والحكمة ليبين للناس جميعًا الطريق الهادي إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم؛ من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

فبلّغ رسول الله ﷺ؛ هذه الرسالة، وأدى الأمانة، وجاهد في الله؛ بالحجة والبرهان، والسيف والسنان حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه، ما ترك شيئًا يقرب العباد إلى الله إلا أمرهم به، ولا ترك شيئًا يبعدهم عن مرضاة الله إلاَّ حذرهم، ونهاهم عنه؛ فأيده الله بنصره، وبالمؤمنين وهم: الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، أما غيرهم من المؤمنين فيشملهم الخطاب بعد الصحابة؛ وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يضع جيل الصحابة نموذجًا للهداية أمام البشرية إلى يوم القيامة؛ فإنّ السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعهدهم يعدّون من أفضل الناس بشهادة النبي ﷺ، وقد قام هذا الدين على سواعدهم، وقد بذلوا أقصى جهودهم في حفظ أحاديث النبي ﷺ، وتبعوا في ذلك مختلف الوسائل والطرق.

فقد أخرج البخاريُّ في كتاب فضائل الصحابة تحت (باب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ ورضي الله عنهم): عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"[1].

وقال المبارك ابن الأثير[2] (ت 606هـ) متحدثاً عن جهود الصحابة والتابعين بعدهم في الحفاظ على الحديث النبوي والعناية به، ما نصّه: "فما زال هذا العلم من عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه، والإسلام غضّ طريّ، والدين محكّم الأساس قويّ، أشرف العلوم، وأجلَّها لدى الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين بعدهم، وتابعي التابعين، خلفاً بعد سلف، لا يشرف بينهم أحد بعد حفظ كتاب الله عزّ و جلّ، إلا بقدر ما يحفظ منه، ولا يعظم في النفوس إلا بحسب ما يُسْمَعُ من الحديث عنه، فتوفرت الرغبات فيه، و انقطعت الهمم على تعلُّمه، حتى لقد كان أحدهم يرحل المراحل ذوات العدد، ويقطع الفيافي والمفاوز الخطيرة، ويجوب البلاد شرقاً وغرباً في طلب حديثٍ واحدٍ ليسمعه من راويه؛ فمنهم من يكون الباعث له على الرِّحلة طلب ذلك الحديث لذاته, ومنهم من يقرن بتلك الرغبة سماعه من ذلك الراوى بعينه، إما لثقته في نفسه، وصدقه في نقله، وإما لعلو إسناده، فانبعثت العزائم إلى تحصيله .

وكان اعتمادهم أولاً على الحفظ والضبط في القلوب والخواطر، غير ملتفتين إلى ما يكتبونه، ولا معوّلين على ما يسطّرونه؛ محافظة على هذا العلم، كحفظهم كتاب الله عز وجل، فلما انتشر الإسلام، واتسعت البلاد، وتفرقت الصحابة في الأقطار، وكثرت الفتوح، ومات معظم الصحابة، وتفرّق أصحابهم وأتباعهم، وقلّ الضبط، احتاج العلماء إلى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة، ولعمري إنّها الأصل؛ فإن الخاطر يغفل، والذهن يغيب، والذكر يهمل، والقلم يحفظ ولا ينسى؛ فانتهى الأمر إلى زمن جماعة من الأئمة، مثل؛ عبد الملك بن جريج، ومالك بن أنس، وغيرهما ممن كان في عصرهما فدوَّنوا الحديث"[3].

ولم يكن الصحابةُ رضوان الله عليهم متفرّغين لحملِ السنة وحفظها تفرُّغًا تامًّا؛ بل كانت لهم وظائفهم وأشغالهم الخاصة، وكانت لهم بيوتٌ وأولاد، وكانوا يسعَون لطلب الأرزاق؛ فكان منهم التجار والصُّناع والزُّرَّاع. فأردت المشاركة في بيان هذه الجهود المباركة في هذا الموضوع، وإظهار مدى جهود الصحابة —رضوان الله عليهم– في عظيم عنايتهم بالحفاظ على الحديث النبوي، فكان هذا البحث الموسوم بـ(طرق تلقي الحديث عند الصحابة–رضوان الله عليهم–في حياته صلى الله عليه وسلم).

---

[1] حديث رقم (3650).

[2] مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري الموصلي الشافعي، صاحب التصانيف النافعة منها : "جامع الأصول من أحاديث الرسول"، "النهاية في غريب الحديث"، كان فقيهاً محدثاً نحوياً عالماً بصنعة الحساب والانشاء.

انظر في ترجمته: "شذرات الذهب" 5/ 94، سير أعلام النبلاء" 21/ 488، "طبقات الشافعية الكبرى" السبكي 4/ 453.

[3] جامع الأصول من أحاديث الرسول 1/ 30–31. وانظر : كتاب "التراتيب الإدارية" للكتاني 2/ 249– 265 ففيه مبحث حافل في تدرج تدوين السنة.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، ومبحثين وخاتمة؛ على النحو الآتي:

المبحث الأول: تعريف الصحابة لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: الطرق الرئيسة في تلقي الصحابة الحديث عن الرسول ﷺ في حياته.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

وفي الختام نسأل الله أن يوفقنا في بحثنا هذا، وأن يلهمنا الصواب والسداد والله ولي التوفيق .

المبحث الأول: تعريف الصحابة لغة واصطلاحاً.

الصحابي لغة:-منسوب إلى الصحابة- كالأنصاري منسوب إلى الأنصار-، وهي مصدر؛ صحبَ يَصحُبُ صُحبَةً بمعنى لازم ملازمةً، ورافق مرافقةً وعاشر معاشرة[4].

واصطلاحاً: قال ابن الصلاح (643هـ)-رحمه الله-:

"اختلف أهل العلم في أنّ الصحابي من؟ فالمعروف من طريقة أهل الحديث: أنّ كل مسلم رأى رسول الله ﷺ فهو من الصحابة"[5].

وسجَّل الحافظ ابن حجر (852هـ): تعريفًا للصحابيّ جامعًا مانعًا فقال-رحمه الله- في تعريف الصحابي: "وأوضح ما وقفت عليه من ذلك أنّ الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الاسلام"[6]. "فيدخل فيمن لقيه: من طالت مجالسته أو قصرت، ومن روى عنه، أو لم يرو، ومن غزا معه، أو لم يغز، ومن رآه رؤية، ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض: كالعمى"[7].

المبحث الثاني: الطرق الرئيسة في تلقي الصحابة الحديث عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته.

لم يكن الصحابةُ رضوان الله عليهم متفرّغين لحملِ الحديث وسماعه وحفظه تفرُّغًا تامًّا؛ ولم يكونوا كلهم من سكان المدينة المنورة؛ والذين كانوا منها لم يكونوا متفرّغين لسماع الحديث؛ بل كانت لهم وظائفهم وأشغالهم الخاصة، وكانت لهم بيوتٌ وأولاد، وكانوا يسعَون لطلب الأرزاق؛ فكان منهم التجار والصُّناع والزُّرَّاع وغير ذلك من الأشغال.

كان الصحابة-رضوان الله عليهم- في عهد حياة الرسول ﷺ يأخذون الحديث طرياً مشافهة مباشرة بالسماع منه. وكان الصحابة في عهده وحياته ﷺ لهم ثلاث طرق أساسية رئيسة لمعرفة الحديث، وتعلّم الشرع:

التلقي عنه مباشرة صلى الله عليه وسلم.

أولاً: كان الصحابة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصين كل الحرص على حضور مجلسه صلى الله عليه وسلم لسماع الأحاديث منه، والتزوُّد من توجيهاته السديدة، ونصائحه الكريمة، وبيانه الرشيد للقرآن المجيد، وكانت أقرب الطرق إليهم وأيسرها عندهم: أن يسمعوا الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرةً، إما لسائل سأله فهو يجيبه؛ كالأعراب والوفود التي تفد عليه من خارج المدينة النبوية، كمثل وفد عبد القيس الذين جاءوا يسألون عن أمور دينهم[8]، وإمّا أنّه يبدؤهم بالموعظة التي كان يتخوّلهم بها بين الحين والآخر مخافة السآمة والملل؛ كما جاء في الصحيح عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: "كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا"[9]، وهذه الطريق هي أعمّ الطرق وأكثرها، حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يلقي عليهم شرائع الإسلام وأحكامه حسب الظروف والقضايا المقتضية لذلك. وأغلب الأحاديث التي روَوْها عن النبي صلى الله عليه وسلم إنما روَوْها بهذه الطريقة، وفي السنَّة أحاديثُ كثيرة جدا -لا تكاد تحصى- صرَّح فيها الصحابة رضوان الله عليهم بسماعهم من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة.

***التناوب على حضور مجالس الرسول ﷺ وسماع ما يفوتهم من أقرانهم.**

[4] انظر: لسان العرب (519/1) المعجم الوسيط (507/1) .

[5] "مقدمة ابن الصلاح" ص 263.

[6] "الإصابة في معرفة الصحابة" 1/ 7.

[7] المصدر نفسه.

[8] صحيح البخاري، كتاب العلم، باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا به من وراءهم، حديث رقم (87).

[9] صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، حديث رقم (68).

والطريق الثانية: أن يأخذ الصحابة–رضوان الله عليهم– بعضهم عن بعض عنه ﷺ؛ فإنّ بعض الصحابة؛ كان يشغلهم الصفق في الأسواق، والسّعي وراء الرزق؛ فكانوا يتناوبون فيما بينهم في مجالس طلب العلم عند رسول الله ﷺ.

مثاله قصة الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي تناوب مع جاره من الأنصار؛ كما روى البخاري في صحيحه عن عمر رضي الله عنه قال: "كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد –وهي من عوالي المدينة–؛ وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً وأنزل يوماً؛ فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك"[10]. قال الحاكم النيسابوري (405هـ): "وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون ما يفوتُهم سماعُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيسمعونه من أقرانهم، وممن هو أحفظ منهم"[11].

وكذلك كان من الصحابة من يستحيّ من النبي ﷺ فيجعل وسيطاً يسأله، كما في قصة علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "كنت رجلاً مذاءً فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ، فأمرت المقداد بن الأسود فسأله؛ فقال فيه الوضوء"[12].

ولقد بلغ من حرص الصحابة رضوان الله عليهم على حضور مجلس النبي ﷺ وسؤاله والتعلُّم منه؛ أن النساء جِئْنَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقلن له: "يا رسول الله، ذهب الرجالُ بحديثك؛ فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تُعلِّمنا ممَّا علَّمك الله عز وجل"، فقال صلى الله عليه وسلم: "اجتَمِعْنَ في يوم كذا وكذا، في مكان كذا وكذا"، فاجْتَمَعْنَ، فأتاهن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فعلَّمهنَّ رسول الله ﷺ مما علَّمه الله[13].

والطريق الثالثة: أن يكون لأحدهم فهم في شيء من القرآن الكريم، أو من حديث سمعه من رسول الله ﷺ؛ فيعمل بهذا الفهم.

كما روي البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما– في أنّ النبي ﷺ أمر أصحابه يوم الأحزاب؛ أن يصلّوا العصر في بني قريظة، وأنّ بعضهم اجتهد؛ فقال إنه لم يرد منا تأخير صلاة العصر، وإنّما أراد سرعة الوصول إلى بني قريظة، فصلّوا العصر في الطريق؛ فهذا الفريق نظر إلى المعنى المقصود المفهوم من الأمر، وأنّ بعضهم امتثل النصّ بظاهره؛ فأخّروا العصر حتى كانوا في بني قريظة فصلّوها ليلاً، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنّف واحداً منهم[14].

فعناية الصحابة–رضوان الله عليهم– بالحديث والحرص عليه والعناية به؛ حفظاً وكتابةً وتبليغاً وتعليماً نابع من احساسهم بالمسؤولية العظيمة الملقاة على عاتقهم بتبليغ ما سمعوه، وانطلاقاً من قوله ﷺ :"بلّغوا عني ولو آية"[15]. وقوله ﷺ: "نضّر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه، فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وربّ حامل فقه ليس بفقيه"[16].

فكانوا–رضي الله عنهم– يلتزمون حدود أمره ونهيه، ويقتدون به في عباداتهم ومعاملاتهم؛ حتى بلغ من اقتدائهم به أن كانوا يفعلون ما يفعل، ويتركون ما يترك دون أن يعلموا لذلك سبباً، أو أن يسألوه عن علته وحكمته.

فقد أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّه قال:"كان رسول الله ﷺ يلبس خاتماً من ذهب؛ فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، ثمّ نبذه النبي ﷺ ، وقال: "إني لن ألبسه أبداً"؛ فنبذ الناس خواتيمهم"[17]. وكذا جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّه قال:"بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذْ خلع نعليه؛ فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم؛ ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله

---

[10] البخاري، كتاب العلم، باب التناوب في العلم، حديث رقم (89).

[11] معرفة علوم الحديث ص 130.

[12] البخاري، كتاب الوضوء، باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين من القبل والدبر، حديث رقم (178).

[13] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أمّتَه من الرجال والنساء مما علَّمه الله ليس برأي ولا تمثيل، رقم: 7310.

[14] البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، حديث رقم (4119).

[15] رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم (3461).

[16] رواه ابو داود في سننه، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، حديث رقم (3660)، ورواه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، حديث رقم (2656)، وقال بعده: هذا حديث حسن. انظر: "دراسة حديث نضر الله امرأ سمع مقالتي" للشيخ عبد المحسن العباد البدر.

[17] صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب خاتم الفضة، حديث رقم (5866).

ﷺ صلاته، قال: "ما حملكم على إلقاء نعالكم؟ قالوا: رأيناك ألقيت نعليك؛ فألقينا نعالنا، فقال رسول الله ﷺ: إنّ جبريل عليه السلام أتاني؛ فأخبرني أن فيهما قذراً أو قال أذى"[18].

فالصحابة –رضوان الله عليهم–؛ هم الذين عرفوا مقاصدها ومعانيها، ومكّنهم من ذلك ما كانوا يرونه من أفعاله وأحواله التي تترجم سنَّته وتبيّن أقواله، وكذلك معاصرتهم لنزول الوحي، ورجوعهم إليه في كل ما أشكل عليهم أو ما استغلق فهمه.

معايشة النبي ﷺ؛ أو المكث عنده والملازمة لفترة زمنية بغرض التعلّم لأحكام الإسلام.

وكان منهم–رضوان الله عليهم– من كان يرحل إليه –ﷺ– في المدينة، ويمكث عنده ويلازمه لفترة زمنية، وتلقي العلم وشرائع الإسلام؛ كما جاء عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه أنّه قال:"أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا رَأَى شَوْقَنَا إِلَى أَهَالِينَا، قَالَ: ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَصَلُّوا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ "[19]. فكانت الإقامة بالمدينة باختيار الوافد فكان منهم من يسكنها، ومنهم من يرجع بعد أن يتعلم ما يحتاج إليه.

الحرص على حضور مجالسه وملازمته ومصاحبته.

وكذلك من الصحابة –رضوان الله عليهم– من كان يتّخذ المسجد النبوي منزلاً ومأوى، ففارقوا الأهل والأوطان، واغتربوا عن مراتع ديارهم وصباهم، لا لشيء إلا لصحبة النبي ﷺ، والأخذ من المعين الصافي بتعلم أمور دينهم، وكانوا يعرفون بأصحاب الصّفة، ويقدّر عددهم المئات، وكان هذا العدد يختلف على حسب اختلاف الأوقات والأحوال[20].

ولم يكن حضورُ الصحابة رضوان الله عليهم مجلسَ النبي صلى الله عليه وسلم من أجل رؤيته، والتلذُّذ بحديثه فقط؛ وإنما كانوا يسمعون حديثه، ويحفظون كلامه، ويعملون به، ويُبلِّغونه مَن وراءهم من النساء والأولاد، وكانوا إذا حضروا مجلسه يعلوهم الوقارُ، وتغشاهم السَّكينة، ويُنصِتون إنصاتًا كاملًا؛ حتى لا يفوتَهم من كلامه شيء.

***الرحلة وركوب المطيّة إليه للسؤال.**

***التثبت والتوثّق من الحديث بالرجوع إليه.**

***السؤال عما يشكل عليهم من أمور حياتهم، ومراجعته مباشرة في الأمور المشكلة.**

ومن عناية الصحابة في الرواية–أيضاً– أنّهم كانوا يتثبّتون ويتوثّقون من الحديث بالرجوع وسؤال النبي ﷺ مباشرة؛ وان اقتضى ذلك منهم الرحلة وشدّ الرحال والمطايا. من ذلك حديث أنس رضي الله عنه ، في وفد ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه على النبي ﷺ، ليتوثّق من نقل الرسول الذي أرسله النبي ﷺ إلى قومه؛ حيث قال ضمام للنبي ﷺ: يا محمد، أتانا رسولك، فزعم لنا أنّك تزعم أنّ الله أرسلك ؟ قال: صدق. قال : فمن خلق السماء؟ قال ﷺ: الله، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: الله، قال: فمن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟ قال: الله. قال : فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال: آلله أرسلك ؟ قال: نعم "[21].وكما أخرج البخاري في صحيحه عن عقبة ابن الحارث رضي الله عنه قال:"أن امرأة أخبرته بأنها أرضعته وزوجته، فركب من فوره–وكان بمكة– قاصداً المدينة، حتى بلغ رسول الله ﷺ؛ فسأله عن حكم الله؛ فيمن تزوّج امرأة لا يعلم أنها أخته من الرضاع، ثم أخبرته بذلك من أرضعتهما؛ فقال النبي ﷺ : "كيف؛ وقد قيل؟ ففارق زوجته لوقته، ونكحت زوجاً غيره"[22].

الكتابة عنه الحديث وتقييده.

وكان الاعتماد في أخذ الحديث في ذلك الوقت، وروايته وأداءه؛ على الحفظ في الصدور والمشافهة والتلقين؛ لا على الكتابة والتدوين؛ ويرجع ذلك لأسباب عدّة منها:

[18] رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعال، حديث رقم (650).

[19] البخاري ، الآذان، باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد، حديث رقم (628).

[20] انظر: "حلية الأولياء" لأبي نعيم الأصبهاني 1/ 417.

[21] أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب القراءة والعرض على المحدث، ص 8، ومسلم في كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام، حديث رقم (102)، واللفظ لمسلم .

[22] البخاري، كتاب العلم، باب الرحلة في المسألة النازلة، حديث رقم (88).

سيلان وصفاء أذهانهم، وقوة قرائحهم وسعة حفظهم؛ فالعرب كانوا قوماً مشهورين بقوة الحافظة والذاكرة، فكانوا يحفظون أشعار الجاهلية، وأنسابهم، وكل ما يتصل بالقبيلة من أخبار حروبها وأيامها، وذكر مفاخرها ومآثرها الخالدة.

وأيضاً لفشو الأميَّة في العرب؛ فإنّ المجتمع العربي الذي بعث فيه الرسول ﷺ مجتمعاً ثقافته ومعرفته محدودتان بسبب طبيعة وبساطة معيشته. ومنها أيضاً عدم توفّر وندرة أدوات الكتابة فيهم من أقلام وصحائف؛ وإن كانوا يعرفون منزلة الكتابة وأهميتها؛ لكنهم جهلوها كما يشهد الواقع من حيث استعمالها، وربما هو بسبب عدم احتياجهم إليها في حياتهم اليومية[23].

وكذلك لوجود الرسول ﷺ بين ظهرانيهم؛ يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم، ويرجعون إليه وقت الحاجة، وعند الاشكال أو جدّ بينهم خلاف. وكان الصحابة —رضوان الله عليهم– من تلقاء أنفسهم منصرفين إلى تلقي القرآن، مشغولين بجمعه في الصدور والسطور، وكان كتاب الله تعالى يستغرق جلّ أوقاتهم؛ كما يملك عليهم كل مشاعرهم. وحديث رسول الله ﷺ حينئذ أكثر من أن يحصوه؛ فله في كل حادثة قول، وفي كل استفتاء توضيح، وفي كثير من الوحي القرآني تبيان وتفسير، فأنّى للكتبة منهم الوقت لمتابعة الرسول ﷺ في كتابة جميع ما يقوله، أو يعمله، أو يقرّ الناس عليه[24].

وكذلك– لوجود النهي من النبي ﷺ؛ بعدم الكتابة عنه غير القرآن؛ فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: "لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن؛ فليمحه، وحدّثوا عني ولا حرج"[25].

وكما وردت أحاديث صحيحة متضمنة إباحة الكتابة، وإذنه ﷺ لبعض أصحابه بذلك؛ مثل إباحته لعبد الله بن عمرو بن العاص– رضي الله عنهما–؛ كما ورد أنه قال:"كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ، أريد حفظه فنهتني قريش، وقالت: أتكتب كل شيء تسمعه، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: "اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق"[26].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في خطبة خطبها رسول الله ﷺ عام الفتح، وفي آخره قال: "فجاء رجل من أهل اليمن، يقال له أبو شاه؛ فقال: اكتب لي يا رسول الله؛ فقال: "اكتبوا لأبي شاه"[27]، يعني الخطبة. وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: "ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثًا عنه مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب"[28].

قال الخطيب البغدادي (ت 463هـ)–في الجمع بين النهي والإباحة– :"فقد ثبت أن كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول؛ إنما هي لئلا يضاهي بكتاب الله تعالى غيره، أو يشتغل عن القرآن بسواه، ونهى عن الكتب القديمة أن تتخذ التوراة والانجيل لأنه لا يعرف حقّها من باطلها، وصحيحها من فاسدها، مع أن القرآن كفى عنها، وصار مهيمناً عليها، ونهى كتب العلم في صدر الإسلام وجِدَّتِه لقلة الفقهاء في ذلك الوقت، والمميّزين بين الوحي وغيره، لأن أكثر الأعراب لم يكونوا فقهوا في الدين، ولا جالسوا العلماء العارفين، فلم يؤمن أن يلحقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن، ويعتقدوا أن ما اشتملت عليه كلام الرحمن"[29].

ومنهم من ذهب بأن النهي كان متوجّهاً عن كتابة القرآن والحديث في صحيفة واحدة مخافة أن يلتبس القرآن بغيره؛ فيكون نهياً خاصاً. ومن العلماء من ذهب بأنّ النهي لمن أمن عليه النسيان ووثق بقوّة

[23] انظر: "دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه" الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، 1/ 44.

[24] انظر: "علوم الحديث ومصطلحه" الدكتور صبحي الصالح ص 6-7.

[25] مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، حديث رقم (7510).

[26] أبو داود ، العلم، باب كتابة العلم، حديث رقم (3646)، وصححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في "صحيح سنن أبو داود"، 2/ 695، وفي "السلسلة الصحيحة" 4/ 45-46.

[27] البخاري، كتاب اللقطة، باب كيف تعرف لقطة أهل مكة، حديث رقم (2434)، ومسلم، كتاب الحج، باب تحريم مكة وتحريم صيدها، حديث رقم (3305).

[28] صحيح البخاري (مع الفتح) كتاب العلم حديث (113).

[29] "تقييد العلم" ص57.

حفظه وخيف اتكاله على الخط إذا كتب، والإذن لمن خيف نسيانه ولم يوثق بحفظه، أولم يخف اتكاله على الخط إذا كتب[30].

ومنهم من ذهب إلى النسخ؛ وفيه ضربان الأول من ذهب بالنسخ المقيّد؛ فقال إنّ النهي متقدّم والإذن متأخر، وهو ناسخ له عند الأمن من الالتباس. ومنهم من ذهب بالنسخ مطلقاً؛ فقال إنّ حديث النهي عن الكتابة منسوخ بأحاديث الأمر والإباحة؛ فيكون من منسوخ السنة بالسنة، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قول جمهور العلماء[31].

ولا شكّ في أنّ الكتابة في عهده ﷺ كانت موجودة، وقد سبق أن ذكرت أن عبدالله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– قد أذن له الرسول ﷺ بأن يكتب عنه كل ما يصدر منه في كافة أحواله من الغضب والرضا، وأن العلماء استدلوا بهذا على جواز ذلك أيضًا لغير عبدالله ابن عمرو من الصحابة؛ فكانت الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو رضي الله عنه، ومن الشواهد والكتابات أيضاً التي وجدت آنذاك الرسائل الموجّهة من رسول الله ﷺ إلى ملوك الأرض، يدعوهم إلى الله تعالى، ويبيّن فيها واجبهم تجاه قومهم، وأنّ لهم ثواب قومهم مع ثوابهم إن هم أطاعوه، وإثمهم إن هم عصوه، وتضمنت تقرير الوحدانية لله تعالى وحده، وأنّه بعث إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً.

كمثل كتابته ﷺ إلى هرقل عظيم الروم[32]، وكتابته المعاهدات والصلح مثل صلح الحديبية[33]، وكتبه إلى عمّاله يبيّن لهم فيها ما يحتاجون إليه من أحكام شرعية، وأمور تمسّ إليه الحاجة، وكذلك المكاتبات الحربية إلى الأعداء لمساءلتهم وإنذارهم، وعرض ما لديه عليهم؛ كمثل مكاتبته لأهل خيبر في مطالبته دية مقتول[34].

وأوجز أبرز جهود الصحابة–رضوان الله عليهم– ودورهم في حفظ الحديث والعناية به في عهد حياة رسول الله ﷺ في نقاط مختصرة، وهي:

1–التلقي عنه مباشرة صلى الله عليه وسلم.

2– التناوب على حضور مجالس الرسول ﷺ.

3– سماع ما يفوتهم من أقرانهم.

4– معايشة النبي ﷺ؛ أو المكث عنده والملازمة لفترة زمنية بغرض التعلّم لأحكام الإسلام

5– الحرص على حضور مجالسه وملازمته ومصاحبته.

6– الرحلة وركوب المطيّة إليه للسؤال.

7– التثبت والتوثّق من الحديث بالرجوع إليه.

8– السؤال عما يشكل عليهم من أمور حياتهم، ومراجعته مباشرة في الأمور المشكلة.

9–الكتابة عنه الحديث وتقييده.

وأخيراً..نجزم القول بأنّ جهود الصحابة —رضوان الله عليهم–؛ قد قاموا بواجبهم ومسؤوليتهم العظيمة اتجاه العناية بالحديث النبوي والحفاظ عليه؛ أيما عناية، وعلى أكمل صورة؛ فقد بذلوا الغالي والرخيص، وأفنوا سني أعمارهم في ذلك، نسأل الله تعالى أن يجزيهم الجزاء الحسن في الآخرة.

الخاتمة.

وهنا ألخص أهم نتائج البحث على النحو التالي:

1–عظيم ثواب الصحابة —رضوان الله عليهم– جزاء قيامهم بجهد وافر في العناية بالحديث النبوي، والحفاظ عليه.

2–أن الصحابة رضوان الله عليهم قد ذلّلوا الطريق لمن بعدهم وأناروا لهم السبيل في الحفاظ على الحديث، وذلك بتقعيدهم قواعد وأساليب متفننة واتباعهم مختلف الوسائل والطرق في أداء تلك المهمة في حياته ﷺ، منها: حضور مجالسه ﷺ وملازمته، السؤال عما يشكل عليهم، الرحلة وركوب المطيّة، والملازمة له ﷺ، والسماع ما يفوتهم من أقرانهم،

---

30 "جامع بيان العلم وفضله" ابن عبد البر 1/ 292. "تقييد العلم" الخطيب البغدادي ص 58.

31 "مجموع الفتاوى" 21/ 318.

32 البخاري كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، حديث رقم (7).

33 البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، حديث رقم (2731).

34 البخاري، كتاب الأحكام، باب كتاب الحاكم إلى عماله والقاضي إلى أمنائه، حديث رقم (7192).

وانظر: كتاب "صحائف الصحابة وتدوين السنة المشرفة" لأحمد الصويان، ص 57 وما بعدها، وكتاب "معرفة النسخ والصحف الحديثية" للدكتور بكر أبو زيد ص 79 وما بعدها.

والتناوب على حضور مجالس الرسول ﷺ والتلقي عنه، والتثبت والتوثّق من الحديث بالرجوع إليه وغيرها.

3- كان الاعتماد في أخذ الحديث وروايته وأداءه في زمن حياة النبي ﷺ؛ على الحفظ في الصدور والمشافهة والتلقين؛ لا على الكتابة والتدوين.

4-الكتابة في عهده ﷺ كانت موجودة وحاضرة، ومنها الكتابات والرسائل الموجّهة من رسول الله ﷺ إلى ملوك الأرض، يدعوهم إلى الله تعالى.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

1. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. دار المعرفة. بيروت. 2003م .
2. القرآن الكريم. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية.
3. ابن الأثير، أبو السعادات مبارك بن محمد (ت 606هـ)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ- 1998م.
4. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، الطبعة الثانية.
5. الأعظمي، الدكتور محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، 1405هـ.
6. الألباني، محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي (ت 1420هـ)، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1979م.
7. الألباني، صحيح سنن أبي داود، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية، 1421هـ- 2000م.
8. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1399هـ- 1979م.
9. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (ت 256هـ)، الجامع الصحيح، نشر دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، بإشراف معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ضمن موسوعة الكتب الستة، الطبعة الثالثة، 1421هـ - 2000م.
10. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت 209هـ)، سنن الترمذي، نشر دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، بإشراف معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ضمن موسوعة الكتب الستة، الطبعة الثالثة، 1421هـ - 2000م.
11. ابن تيمية، أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني (ت 728هـ)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد، الرياض، الطبعة الأولى، 1381هـ.
12. الحاكم، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (405هـ)، معرفة علوم الحديث، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ- 2003م.
13. ابن حجر، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، (ت852هـ)، "الإصابة في معرفة الصحابة"، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
14. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب (ت 463هـ)، تقييد العلم، تحقيق: يوسف العش، نشر دار إحياء السنة النبوية، الطبعة الثانية، 1974م.
15. الخطابي، حمد بن محمد (ت 388هـ)، معالم السنن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981م.
16. أبي داود، سليمان بن داود السجستاني (ت 275هـ)، سنن أبي داود، نشر دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، بإشراف معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ضمن موسوعة الكتب الستة، الطبعة الثالثة، 1421هـ - 2000م.
17. الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، دار الفكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، عام 1402هـ
18. أبو زيد، الدكتور بكر بن عبدالله (ت 1429هـ)، معرفة النسخ والصحف الحديثية، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، 1412هـ- 1992م.
19. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب علي (ت 771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ- 1999م
20. ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشَّهرَزُوري (ت 643هـ)، معرفة أنواع علم الحديث، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر، المكتبة العلمية. بيروت عام 1401هـ.
21. الصويان، أحمد عبدالرحمن، صحائف الصحابة وتدوين السنة النبوية المشرفة، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1990م.
22. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، (ت 463هـ)، جامع بيان العلم وفضله مما ينبغي في روايته وحمله، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.

23. ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحيّ (ت 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1419هـ- 1998م.
24. الكتاني، محمد عبد الحي بن عبد الكبير الحسني الفاسي (ت 1382هـ)، نظام الحكومة النبوية المسمّى التراتيب الإدارية، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الطبعة الثانية، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت.
25. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، الجامع الصحيح المسند، نشر دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، بإشراف معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، (مطبوع ضمن موسوعة الكتب الستة)، الطبعة الثالثة، 1421هـ - 2000م.
26. ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (711هـ)، لسان العرب، طبع دار صادر، بيروت، لبنان.
27. أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصفهاني (430 هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، طبعة السعادة، مصر، 1416هـ-1996م.
28. النعيمي، الدكتور حمزة أبو الفتح بن حسين، المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية عند المحدثين، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى، 1419هـ-1999م.
29. النووي، أبو زكريا يحي بن شرف (ت 676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار الفكر، بيروت، لبنان الطبعة الثانية 1392هـ - 1972م.